قيمة الحياء في التعامل بين الناس

في حديثنا السابق قلنا إن الإسلام يقيم التعاملات بين الناس على القيم والأخلاق قبل أن يقيمها على القوانين والتشريعات، ولدينا خلق إسلامي، وصفه النبي ﷺ بأنه خير كله، ألا وهو خلق الحياء، نريد أن نتعرف على أثر هذا الخلق في التعامل الاقتصادي بين الناس؟

في البداية نوضح أن القيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية تتميز بالعمومية والشمول، بمعنى أن الخلق الإسلامي المعين لا يعمل في نطاق محدود أو يطبق في نطاق ضيق، وإنما ترى الخلق المعين يتصف به الإنسان فتظهر آثاره وثماره في جنبات الحياة المختلفة التي يسير فيها هذا الإنسان، الذي اتصف بهذا الخلق، وعليه فإن الإسلام لا يقدم أخلاقاً للعاملين في الزراعة وأخرى للعاملين في الصناعة وثالثة للعاملين في الخدمات، وإنما يقدم الخلق الذي يصاحب من تخلق به في أي مجال يعمل، وفى أي موطن يكون. وعلى سبيل المثال ما تفضلت بذكره من الخلق الإسلامي الذي وصفه النبي ﷺ بأنه خير كله، ألا وهو خلق الحياء، هذا الخلق غير محصور في نطاق، ولا مقصور على مجال، وإنما يعمل في كل المجالات، حيث هو خلق مصاحب للمسلم في كل عمل، وفى كل مجال، يتخلق به الطبيب، كما يتخلق به المهندس، ويتخلق به الصحفي، كما يتخلق به المحامى، وغيرهم من أرباب المهن وشتى الحرف والأعمال.

بعد هذا التوضيح نحب أن نتعرف على أثر الحياء في التعامل بين الناس

أثر هذا الخلق على تعاملات الناس وعلاقاتهم بعضهم ببعض يتضح لنا من الحديث الشريف الذي رواه الترمذي عن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال: **«اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»**. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: **«لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا**

حَوَى، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ».

إن الحديث الشريف جعل الحياء الذي هو خير كله، والذي لا يأتي إلا بخير، والذي هو شعبة من شعب الإيمان، جعله يتمثل في تكليفين اثنين هما:

١- حفظ الرأس وما به من أجهزة وقوى ممثلة في العقل والسمع والبصر والنطق من أن تستخدم في غير ما خلقت له.

٢- حفظ البطن وما حوي من أجهزة أيضاً مثل الجهاز الهضمي والجهاز التناسلي فلا يدخل في البطن ما لا يحل، ولا يمارس بما حوته من أجهزة ما لا يجوز.

هذان التكليفان يطالب بهما المسلم في أي مهنة يعمل، وفى أي ميدان يمارس نشاطه. فحفظ الأجهزة التي احتوت عليها الرأس يتطلب من المسلم أن يستخدم علمه وفنه ومعرفته وسائر قدراته في تحقيق مصالح الناس وعدم الإضرار بهم على أي وجه من الوجوه، فلا يقرر باطلاً ولا يخالف أصولاً ولا يتحايل على قواعد، بل يعطى كل ذي حق حقه، ويعطى عمله الذي وكل إليه من الجهد والوقت والحرص ما به يصلح، ويتحقق المقصود منه على أكمل وجه.

ألاحظ في التكليفين الواردين في الحديث الشريف أن التكليف الأول وهو حفظ الرأس وما وعى يمتد فعلاً في كل المجالات، بينما ألاحظ أن التكليف الثاني وهو حفظ البطن وما حوى محدود في إطار معين، فهل هذا الفهم مني صحيح؟

هذا فهم صحيح تماماً، فحفظ الرأس وما وعى يمتد كما قلت ليشمل كل المجالات، ويطبق في كل الأعمال، ولعلنا نستطيع أن نستعرض جانباً من شمول هذا التكليف في الحلقات القادمة، أما التكليف الثاني وبرغم أهميته الكبيرة، فإنه محصور في قضيتين رئيسيتين؛ القضية الأولى تتمثل في ضرورة أكل الحلال الطيب والبعد عن

الخبيث المحرم، أي الالتزام بهدى النبي ﷺ في أكل الطيب وترك الخبيث، وما أحله الله تعالى فهو الطيب، وما حرمه فهو الخبيث، يقول الله تعالى عن النبي ﷺ وعن مهمته: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[الأعراف:١٥٧]. ويأمرنا سبحانه وتعالى بأن نأكل الطيب فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة:١٧٢] أي أن حفظ البطن متمثل في أكل الطيب الحلال، وعدم إدخال الخبيث والمحرم فيه، ومن يفعل ذلك يكون بنص حديث آخر مستجاب الدعوة يقول ﷺ لمن طلب منه أن يدعو له ليكون مستجاب الدعوة يقول له: «**أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ**» هذا هو حفظ البطن، ومقتضاه أن لا يعتدي على حقوق الآخرين، وأن يتعامل معهم بالعدل والإحسان، وأن لا يفتاب على حقوقهم ولا يغبنهم في تعامل، ولا يغشهم في معاملة، حتى يكون دخله حلالاً وبالتالي يكون مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه وسائر ما يستهلك حلالاً طيباً.

أما القضية الثانية فهي حفظ ما حوي البطن، والمقصود بهذا التعبير أن يكون الشخص طاهر الذيل بعيداً عن الخبث والفاحشة، فلا يعتدي على حرمات الآخرين، فلا يمارس الفاحشة، بل لا يقترب منها ولا يأتي بمقدماتها حيث أمر الله تعالى بعدم الاقتراب من الفاحشة وليس بعدم فعلها فقط. فإذا تعامل الفرد مع الآخرين على أساس من حفظ البطن وحفظ ما حوي البطن كان متخلقاً بخلق الحياء من الله تعالى، وكان لهذا الخلق الأثر الكبير في تعاملاته وسلوكياته وكل جوانب حياته.

هذا وبالله التوفيق